

## من تحديات التغيير في السعودية

تسربت السياسات الداخلية المتشددة عقوداً في تحويل مواطنة غالبية "الحضر" المُهتمين في مناطق الحضر، خصوصاً في ساحل الخليج العربي والبحر الأحمر، إلى مواطنة من الدرجة الثانية؛ يشمل ذلك الشيعة والإخوان المسلمين والمواطنين من أصول أجنبية من سكان المنطقة الغربية.

التغيير في السعودية قادم؛ إلا أن أحداً ليس في مقدوره تجاوز حالة "التدافع" التي سيولدها انتقال المملكة من فضاء المرأة العجوز المتشحة بالسواد، والمسكونة بمظاهر الاحتشام، إلى حلم الفتاة المُنطلقة، وهي تقود سيارتها الخاصة من مقر عملها إلى منزلها، مروراً بشارع التحلية في العاصمة الرياض، لتحتسي كوباً من القهوة في ستاربكس أو كوستا كافيه، برفقة أصدقائها من الجنسين. أمام مشروع التغيير وطموحاته الكبرى، لا يمكن لذلك "الماضي"، بمجموع الأفهام والmemories والرموز التي يحملها، وصولاً إلى شبكة المصالح الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت فاعلة فيه، لا يمكن أن يُقتل بين ليلة وضحاها، ولئن استطاعت ماكينة الإعلام السعودية التغطية عليه، وعلى تفاعله مع مشروع التغيير وقبوله، أو الاستخفاف به، وبما يستطيع أن يفرضه في الواقع من متغيرات.

عديدة هي التحديات الماثلة أمام ولي العهد، الأمير محمد بن سلمان، ومشروعه للتغيير في السعودية، داخلية وخارجية، اجتماعية وسياسية وثقافية واقتصادية. ولئن كانت رحى التنبؤات تدور بقوة، وتبدو القرارات "الاستثنائية"، كالسماح بقيادة النساء للسيارات، وتنظيم الحفلات الغنائية المختلطة، وبيث خطاب اجتماعي/ ديني تقدمي في عنفوانها، إلا أن إنجاز مشروع التغيير الكبير لن يكون بهذه السهولة، فالتحديات عدّة، واللاعبون إلى جانب "الأوامر الملكية" كُثُر.

من تلك التحديات أن النظام الذي قام على ذلك التحالف القبلي الكبير من "البدو" المُنظمين في حامل ديني إسلامي، مثلته الدعوة الوهابية، لن يكون في إمكانه صناعة (أو إبداع) هوية وطنية جديدة، من دون الاعتماد على حامل اجتماعي حقيقي، وفاعل على الأرض. هذا الحامل الاجتماعي (المفقود) لا يمكن أن يكون مجرد خطابات إعلامية مكرّرة لمجموعة من النخب الإعلامية الذين هم، في غالبيتهم، أفراد منبوذون في أوساطهم العائلية، فضلاً عن المؤسسات الاجتماعية والدينية في المملكة.

إعادة صناعة "البدوي" باعتباره حاملاً مشروع التغيير والتطوير والانفتاح الاجتماعي والديني في البلاد

ليست مهمة سهلة أمام ولی العهد الشاب ومستشاريه، بل تبدو هذه المهمة في تفاصيلها مغامرة غير محسوبة العواقب، خصوصاً أن لاعبين آخرين لن يكونوا مكتوفي الأيدي قبلة هذا المشروع الذي يعيد توزيع مراكز القوى والنفوذ في الدولة.

في مقدمة هذه المؤسسات، مؤسسة القبيلة وبما فيها مؤسسة الأسرة الحاكمة ذاتها. وكذلك هي المؤسسة الدينية، وفي طليعتها هيئة الإفتاء التي وإن داهنت/ سايرت بعض ملامح التغيير في البلاد اليوم إلا أنها لن تستمر في ذلك أمام مشروعٍ يهدف، في نهايّاته، إلى إنهاء وجودها على الأكثـر، أو تحجيم فضاء سلطتها في البلاد على الأقل.

لا شك أن "الحضر" الذين كانوا في ذهنية ابن القبيلة "البـدو" والدولة السعودية في توقيت ما، الخطر الداهم ومثال الفسادين القيمي والأخلاقي، هم اليـوم الوجه الجديد للدولة المنشودة، والحاصل المثالي المفترض لشكل الهوية الجديدة للمواطن السعودي ومضمونها.

فأين سيختفي أبناء القبائل عن الواجهة؟ وكيف يتموضعون في هذا التغيير؟

وهل بالإمكان إنهاء نظام العطـايا والامتيازات الخاصة لهذه القبائل، وبما يتضمن إنهاء الاعتراف بنفوذ شيوخها ورجالها، وقدرتـهم على التأثير المباشر في الدولة، وأسلوب الأسرة الحاكمة في إدارة الحكم؟ والأهم من ذلك، كيف يمكن تعـبئة هؤـلـاء "الحضر" بهوية جديدة معقدة، تبدو منفتحة في شكل من أشكالها وفق النموذج الإماراتي، لكنـها، في التـوقـيت نفسهـ، انتقـائيةـ، محدودـةـ، ومشروـطةـ بما لا يصلـ إلى حدـ المطالـبةـ (أوـ التـروـيجـ) لـقيـمـ سيـاسـيـةـ أوـ دـيمـقـراـطـيـةـ هيـ، فيـ جـوـهـرـهاـ، مـرـادـفـةـ وـطـبـيـعـيـةـ وـلـازـمـةـ لـأـيـ عـلـمـيـةـ اـنـفـتـاحـ وـتـغـيـرـ فيـ أيـ تـجـرـيـةـ.

لقد تسببت السياسات الداخلية المتشددـةـ عـقـودـاـ فيـ تحـوـيلـ مواـطـنـةـ غالـبـيـةـ "الـحضرـ" المـُهـمـشـينـ فيـ منـاطـقـ الحـضـرـ، خـصـوصـاـ فيـ سـاحـلـ الـخـلـيـجـ الـعـرـبـيـ وـالـبـحـرـ الـأـحـمـرـ، إـلـىـ مواـطـنـةـ منـ الـدـرـجـةـ الثـانـيـةـ؛ـ يـشـمـلـ ذـلـكـ الشـيـعـةـ وـالـإـخـوـانـ الـمـسـلـمـيـنـ وـالـمـوـاطـنـيـنـ منـ أـصـوـلـ أـجـنبـيـةـ منـ سـكـانـ الـمـنـطـقـةـ الـغـرـبـيـةـ خـصـوصـاـ.

اليـومـ يـحـتـاجـ ولـيـ العـهـدـ محمدـ بنـ سـلـمانـ لـهـذـهـ الـجـمـاعـاتـ فيـ مـقـدـمةـ مشـرـوعـهـ الـجـدـيدـ؛ـ فـهـمـ الـفـئـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ الـأـكـثـرـ اـسـتـعـداـداـ وـحـمـاسـةـ لـلـقـبـولـ بـهـذـاـ التـغـيـرـ وـتـبـنيـهـ.

لكـنهـ، وـفـيـ التـوـقـيـتـ ذاتـهـ، أـبـعـدـ مواـطـنـيـهـ عنـ مـفـاـصـلـ الـدـوـلـةـ وـمـؤـسـسـاـتـهاـ وـعـنـ مـرـاكـزـ صـنـعـ القرـارـ فيـهاـ.ـ فـهـلـ يـذـهـبـ الـأـمـيـرـ الشـابـ إـلـىـ سـيـاسـةـ "إـحـلـالـ" عـلـىـ النـمـوذـجـ الـأـرـدـوـغـانـيـ معـ جـمـاعـةـ فـتـحـ اـهـلـ غـولـنـ؟ـ مـنـ يـدـريـ؟ـ مـحـدـ دـاتـ عـدـةـ تـرـبـطـ الـدـوـلـةـ السـعـوـدـيـةـ مـنـذـ نـشـأـتـهاـ وـمـؤـسـسـةـ القـبـيـلـةـ الـتـيـ تـحـالـفـتـ مـعـهاـ،ـ وـكـانـتـ عمـودـهاـ وـخطـ الدـفـاعـ الـأـوـلـ عـنـهاـ.ـ وـمـنـ أـهـمـ هـذـهـ المـحـدـ دـاتـ التـوـافـقـ الـقـيـميـ وـالـأـخـلـاقـيـ وـالـثـقـافـيـ وـالـدـوـلـةـ،ـ فـإـذـاـ كـانـتـ الـدـوـلـةـ قـدـ اـخـتـارـتـ تـغـيـرـ/ـ تـحـديـثـ/ـ تـطـوـيـرـ مـجـمـوعـةـ الـقـيـمـ الـدـيـنـيـةـ وـالـثـقـافـيـةـ وـالـأـخـلـاقـيـةـ الـتـيـ تـتـبـنيـهاـ،ـ فـهـلـ تـبـدوـ القـبـيـلـةـ فيـ السـعـوـدـيـةـ مـسـتـعـدـةـ لـمـحـارـةـ هـذـاـ التـغـيـرـ وـتـبـنيـهـ؟ـ

الـشـكـوكـ كـبـيرـةـ،ـ خـصـوصـاـ معـ إـلـانـ الـسـلـطـاتـ السـعـوـدـيـةـ يـوـمـ 4ـ أـكـتوـبـرـ/ـ تـشـرـيـنـ الـأـوـلـ الـجـارـيـ اعتـقالـ 22ـ مواـطـنـاـًـ مـنـ مـنـطـقـةـ حـائـلـ،ـ شـمـالـ غـربـ الـبـلـادـ،ـ عـلـىـ خـلـفـيـةـ مـظـاهـرـاتـ اـحـتجـاجـيـةـ لـقـبـيـلـةـ شـمـرـ عـلـىـ زـوـاجـ أحدـ

أبناء قبيلة الرشايدة من فتاة "شمرية"، بدعوى عدم تكافؤ النسب!

\* عادل مرزوق كاتب بحريني

المصدر | عادل مرزوق | العربي الجديد